٥٠

هادي المدرّسي

الصِّراع والتحدّي

في حياة الرّسالي

دار التيّار الجديد
بيروت - لبنان



الصراع والتحدي

في حياة الرسالي

هادي المدرّسي

الصّراع والتحدّي
في حياة الرّسالي

دار التيّار الجديد
بيروت - لبنان

الطبعة الاولى
١٩٨٣ م — ١٤٠٣ هـ

الصراع والتحدي
في حياة الرسالي

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله العظيم « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض» وقال تعالى : « ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا » صدق الله العلي العظيـــم ٠

* * *

هنالك صراع في داخل الانسان ٠ ومن ثم صراع علـى وجه الارض ٠

ابليس ليست له سلطة في هذا الكون ، فلا سلطة له على الشجر والحجر او على الشمس والقمر ٠ ولكن

لابليس سلطان على الانسان • ومدخله للسيطرة عليه شهواته ، ورغباته ، وعوامل الانحراف فيه •• فلا صراع اذن بين الله وبين ابليس •

لا يوجد صراع في الكون لان الله وحده هو الحاكم فيه والسيد عليه •

انما الصراع في داخل الانسان ، بين الشهوات العابرة والرغبات الشخصية ، وبين العقل والارادة • الصراع هو بين « الحمأ » المسنون ، والطين الذي خلق الله الانسان منه ، وبين الروح التي نفخها فيه ، وفي هذا الصراع ، تارة سيتسلم الانسان للحمأ المسنون فيخلد الى الارض ، وتارة يرتفع الى السماء ، ويعيش في اجواء روحية رفيعة • ان هذا الصراع حقيقة ، يشعر به كل انسان ، ويعيش اهواله ، وصعوباته •

ان داخل الانسان ساحة معركة عنيفة تجري احداثها في كل لحظات الحياة ، واطراف النزاع هي الشهوات ، والرغبات من جانب ، والقيم والمبادي ، من جانب اخر ••

ودور ابليس في هذه المعركة ، هو دور من يزين طرف العصية الى طرف الشهوات والرغبات ••• بينما دور الضمير في هذه المعركة هو دور من يزين طرف الطاعة أي طرف العقل • ففي هذه المعركة هنالك من يصرخ في أعماق انسان لا •• في الاندفاع نحو المعاصي •• وذلك في مواجهة الدوافع اللذيذة التي تدفع الانسان اليها ••

وهكذا فان هنالك ـ في رأي الاسلام ـ صراعا في داخل الانسان ، وقد سمى الاسلام ساحة هذا الصراع « محرابا » ـ وهو اسم مكان من الحرب ـ ذلك لان الانسان في حالة الصلاة ، يحاول يهاجم على الطرق الآخر فهو يرفض هذا الطرف قائلا : « الله اكبر » .. ويرفع علامة الانتصار على الشهوات والملذات ـ يديه الى أذنيه ـ وزمان هذا الهجوم ، ومكانه يعتبران محرابا !

وهو مكان مقدس لا يجوز تلوينه ، ويكره ذكر غير الله فيه .

ومن الصراع الداخلي ، في الانسان ، ينبعث الصراع في الواقع الاجتماعي ، السياسي على وجه الارض ، ذلك لان هنالك من استسلم لشهواته ورغباته ، ويقتل ضميره ووجدانه ، فيكون من جنود ابليس ، ومن انصار الباطل ، واتباع الشر .. كما ان هنالك من يصرع شهواته ، وينتصر للعقل فيكون من جند الله ، ومن انصار الحق ، واتباع الخير .

وكما ان الصراع في الانسان ، حقيقة لا يمكن انكارها ، كذلك فان الصراع في الحياة ، حقيقة لا يمكن انكارها ، وكما لا يوجد انسان لا صراع في اعماقه ، كذلك لا يوجد مجتمع لا يوجد فيه الصراع .

اي كما لا يوجد انسان لا عقل ، ولا شهوات فيه ،

كذلك لا يوجد مجتمع لا يوجد فيه اهل الحق ، واهل الباطـل ..

وهكذا فلا يجوز الخوف من الصراع ، او الهروب منه ، بل لا بد من البحث عن الحق ، في أي صراع ، للتمسك به ، والبحث ن الباطل ، لمحاربته .

فاذا وجدت صراعا في المجتمع فلا تخاف ، ولا تهرب . بل ابحث عن الجذور ، فاذا لم يكن هنالك ما يدعو الى الصراع فحاول ان تصلح الامور ، اما اذا كان هنالك حق وباطل ، فان مسؤوليتـــك هنا ، ان تقاوم الباطل وتنصر الحق .. فلا حياء باسم « الحياء الايجابي » في المجال السياسي فهو مجرد غطاء للعمالة للشرق والغرب .. حيث انه اراد ان يدفع بمجتمعاتنا الى حالة من الميوعة في الصراعات الدولية .

وهكذا فان من يحاول الهروب من الصراع ، في المجتمع .. او يحاول الجمع دائما بين الاطراف المتنازعة فهو ليس افضل من ذلك الصحابي الذي كان ـ ابان اشتداد الصراع بين الامام علي (ع) ومعاوية ـ يصلي مع الامام ، ويأكل الطعام مع معاوية ، وحين وقــوع المعركة كان يجلس على تل يتفرج منه على المتقاتلين .. ويقـول :

الصلاة مع علي اتم ، والطعام مع معاوية ادسم ، والوقوف على التل اسلم !!

وتلك هي فلسفة كل الخائفين من الدخول في الصراع ، والجامعين بين الحـــق والباطـل ، والايمان والنفاق ، وعلي ومعاوية ٠

ان طبيعة الحق تخالف طبيعة الباطل ٠٠ كما ان طبيعة الظلام تتنافر مع طبيعة النور ٠ وكما لا يمكن الجمع بين الظلام والنور ، لا يمكن الجمع بين الحق والباطل ، وكل الذين حاولوا ذلك ابتلوا بخسران الحق والنفاق معــه ٠٠

* * *

لقد خلق الله الانسان ، وخلق فيه نوازع الخير ، ونوازع الشر ، لكي يمتحنه ويبتليه ٠٠

« انا خلقنا الانســـان من نطفة انشاج نبتليــه فجلناه سميعا بصيرا » ٠

وفي داخل الانسان عوامل تدعوه الى الخير ، وكل الانبياء والرسالات السماوية ، تؤكد على ذلك ٠٠ كما ان فيــه عوامل تدعوه الـــى الخير ، وكــــل الانبياء والرسالات السماوية ، تؤكد على ذلك ٠٠ كما ان فيه عوامل تدعوه الـــى الشر ، وكــــل مغريات الحياة ، والشهوات تؤكد على ذلك ٠

وبعض الناس يستسلم لعوامل الخير ٠٠ فيكون من أنصار الحق ، وبعضهم يستسلم لعوامل الشر ٠٠

فيكون من انصار الباطل ، ويقع بين الطرفين صراع ٠ ولا ينتهي هذا الصراع الا بانتهاء الانسان من على وجه الارض ٠ والسؤال الآن هو : كيف يجب ان يكون موقفنا من الصراع ؟٠ والجواب :

اولا – لا بد من الهجوم على الصراع ، لا الهروب منه ٠

ثانيا – لا بد ان يكون الهجوم على الباطل في هذا الصراع ٠

ثالثا – لا بد ان نبحث في هذا الصراع عن عوامل النصر ٠

ان بعض الناس يهرب من الصراع ، بالهروب من الحياة ٠٠ لانه لا يوجد مجتمع بلا صراع ٠٠ ولا طريق للتخلص من الصراع الا الانزواء في كهف من الكهوف ٠٠

لانه على كل حال هنالك من يقف ضدك ، سواء كنت من اهل الحق أم من أهل الباطل ، فهناك من يقف ضدك ، فان كنت من اهل الحق وقف ضدك اهل الباطل ، وان كنت من اهل الباطل وقف ضدك اهل الحق ٠

اذن فلا بد ان يقع بينك وبين جهة ، صراع ونزاع ٠

ومن يهرب من الصراع يحكم على نفسه بالهزيمة ٠٠ كما ان من لم يبحث عن عوامل النصر ، يحكم – هو الاخر – على نفسه بالهزيمة ٠

والمطلوب ليس مجرد خوض الصراع بلا حسابات او التواكل في المواجهة ·· بل المطلوب معرفة متطلبات الصراع واسباب النصر ·

فلا احد يهدي الانسان النصر على طبق من الذهب ·· بل لا بد من انتزاع النصر بقوة العمل ، والجهاد ·

اما ان ينتظر الانسان ان ينوب عنه احد في الجهاد ·· فهذا انتظار باطل ·

لقد قالت بنو اسرائيل لنبيها موسى بن عمران حينما طالبها بانتزاع النصر في المدينة المقدسة من العدو قالت : « اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون » ·

فكتب الله عليهم « التيه » اربعين عاما حتى مات ذلك الجيل كله ، وولد جيل جديد مستعد للدخول في الصراع ، وانتزاع النصر من العدو ·· ففتح الله على ايديهم ··

وهنا لا بد ان نتذكر حقيقة هامة ، وهي ان الانسان يولد ضعيفا في كل شيء ·· ضعيفا في جسمه، وضعيفا في روحه ، وضعيفا في نفسيته ويتعرض للآفات والامراض والمشاكل بسبب هذا الضعف ··

ويكفي في عمق الضعف في الجسم البشري ان

ميكروبا لا يرى بالعين المجردة يقضي على الانسان ٠

وحسب علم الطـــب ، فان اقوى الامـراض ، وافتكها ، هي الامراض الناتجة عن اضعف الميكروبات ، وهي « الفيروسات » ٠

ان هذا الانسان والذي قد يتكبـر ، ويتجبر ــ حتى على ربه ــ حينما يتوقف عرق صغير في مخه ، يتفجر ، وينتهي ! ينقطع (الفيوز) فتتوقف الكهرباء في الانسان فيصبح في خبر كان ٠٠!

هذا من حيث الجسم ٠

اما من حيث الروح ٠٠ فالانسان ايضا ضعيف فيها ٠٠ انه عرضة للامراض الفتاكـــة ، من امثال مرض « البخل » و « الجبن » و «الخوف» و « الكذب » و « النفاق » ٠٠ وهكذا وهذه امراض أكثر خطورة من أمراض الجسم ٠

وكما يولد الانسان ضعيفا في جسمه ، كذلك يولد ضعيفا في روحه ٠٠ فهو قابل للكسر في كلا الجانبين من حياتــه ٠

فكما يكون جسمه مسرحا للامراض ، تكون روحه كذلك فهو لا يولد « معصوما » في روحه كما لا يولـد « محصنا » في جسمه ضد الامراض ٠

يقول الله تعالى ــ عن ضعف جسم الانســان « خلق الانسان ضعيفا » النساء ٢٨ ٠

ويقول تعالى ـ عن ضعف روح الانسان : « ويدع الانسان بالشر دعائه بالخير ، وكان الانسان عجولا » الاسراء / ١١ ٠

وقد يتســـاءل البعض لماذا يخلق الله الانســـان ضعيفا ؟٠

والجواب : لكي يبذل الجهد الشخصي ، من أجل ان يحول « ضعفه » الى « قوة » فهو يخلق في اجواء الصراع ، مع الطبيعة ، ومع الامراض وفي هذا الصراع ومحاولة التغلب عليه ، يكمن التقدم البشري كله ٠٠

ضعف في كل شيء من جهة ٠٠ وعقل وارادة في الانسان من جهة اخرى ٠٠ وقدرة على المحاولة ، من جهة ثالثة ، هذا هو الوضع الذي يدفع الانسان الـــى بذل الجهود ، و « المحاولة » ٠

ولان هنالـــك صراع بين الانسان وبين عوامـــل الطبيعة ، فان الانسان كان هو الكائن الوحيد المزود بوسائل التطور ، كالعقل والارادة والفكر ٠

فالحيوان يولد ، ومعه كل الوسائل الشخصيـــة اللازمة لحياته الخاصة ، حتى السلاح يولد الانســـان ومعه حاجته اليه ، كالانياب والمخالب والقوة البدنية ٠

كما ان الحيوان يولد ، ومعه ما يحتاج اليه من معرفة بالمضار والمنافـع ٠

بينما الانسان يولد ، وهو لا يعرف اي شيء ، « والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا »٠

ولكن الانسان زود بالعقل والعلم ، والارادة وطلب منه ، المحاولة ٠ ولولا ضعف الانسان ولولا قدرته على تحويل الضعف الـــى قوة لم نكن نمتلـــك اليــوم ، « القنبلة الذرية » والاسلحة الاخرى ٠٠ كما لم نكن نمتلك الصناعة المتطورة ٠٠ والتقدم العلمي الهائل ٠

المهم ٠٠ كما خلق الله الانسان ضعيفا فانه هيء له ما يمكنه من تحويل الضعف الى قوة ٠٠ ولذلـــك طالبه الله بأن يحاول ذلك ٠

ان النبي ايوب حينما شكى الى الله مرضه قائلا: اني مسني الشيطان بنصب وعذاب ٠

قال له الله : اركض برجلك « هذا مغتسل بارد وشراب » فذكره الله بالعلاج ٠٠ وطالبه بمحاولة شفاء نفســه عبر الدواء ٠

وفي حديث شريف ان « موسى بن عمران » مرض ذات مرة ٠ فقال : لا اعالج حتى يشفني الله ، فأوحى الله تعالى اليه ، ولا اشفيك حتى تراجع الطبيب !

وهكذا فان الله لم يخلق ضعفا ، الا وخلق السبل الكفيلة بتحويله الى قوة ٠٠ كما لم يخلق داء ، الا

وخلق له دواء ولولا الامراض ، وقدرة الانسان على البحث عن العلاج ، لما كان هنالك تقدم في الطب ٠

ومن هنا كان ضعف الانسان الطبيعي سببا من أسباب تقدمه ، حيث دخل بسبب هذا الضعف في صراع مع عوامل الطبيعة ومن ثم حاول التغلب عليها ، فكان له ما اراد ٠٠ وهذا معنى « الحاجة ام الاختراع » اما الحيوان ، فهو ، وان كان يولد قويا ومستغنيا عن الاخرين في حياته الا انه بسبب انعدام الحاجة في حياته يبقى غير قادر على التطور ٠٠ والتطوير ٠

فالاسد مثلا يولد ، وعلى جلده شعر يدفع عند الحر والبرد ، ويمتلك سلاحا يدافع عن نفسه ، ويمتلك القدرة على الحصول على لقمة الحياة ، من الحيوانات٠

ولكن الانسان يولد ، وليس على جسمه ما يدفع عنه الحر والبرد ، ولذلك فهو يبحث عن وسيلة لذلك، ويظل يبحث ويخترع ، ويصنع الوسائل الكفيلة بذلك حتى يطور الاقمشة والالبسة ، بما نجده اليوم وهكذا نجد ان الحيوان كما ولد ، يموت ، وحياته حلقة معينة الحدود لا يتجاوزها بأي شكل من الاشكال بينما الانسان يعيش في كل عصر بشكل يختلف عن العصر الذي سبقه ٠

وهذه الميزة اكتسبها الانسان بسبب الضعف

الذي يعاني منه من جهة ، وبسبب قدرته على التطور ، والمجال الواسع الذي يجده امامه للعمل من جهة اخرى ٠

* * *

الصراع اذن ، قــدر الانســـــان ، ولولاه لما كان الانسان انسانا ٠ ولا كانت الارض كما هي عليه الان يقول الله تعالــى :

« ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض » ٠

اي لولا التدافع بين الناس ، والتصارع والتنافس لفسدت الارض والحياة ٠ ويقول تعالى ايضا :

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا » ٠

فالصراع وهو مسرح التقدم البشري ، في مجالات الحياة ، ومجالات الدين ٠ فالحياة ـ من جهتهـا ـ قائمة على الصراع بين الانسان وبين عوامل الطبيعة ٠ كما ان الدين ـ من جهته ـ قائم على الصراع بين عقل الانسان وارادته وبين شهواته ، ورغباته ، وملذاته ، او الصراع بين اهل الحق واهل الباطل ٠٠ وهكذا فان التحدي الذي يواجهه الانسان في الحياة يدفعه الــى الارتقاء والتقــدم ٠

كما ان التحدي الذي يواجهه المؤمنون هو الذي يدفعهم الى مواجهة الطغاة ، والتغلب عليهم في الصراع .

وهكذا نجد ان النهار يتحدى ظلمة الليل ، وان الايمان يتحدى ظلمات الكفر ، وان ابراهيم يتحدى نمرود ، وموسى يتحدى فرعون ، وعيسى يتحدى بني اسرائيل ، ومحمد يتحدى قريش وهكذا .. الى يوم يبعثون .

* * *

واذا تساءل البعض : ماذا يحرك التاريخ ؟

لكان جوابنا : الصراع !

فلولا الصراع ، والتحدي الذي يواجهه الانسان، وبحثه المستمر للتغلب على الاخطار ، لما تغير وجه الزمان ، ولجمدت اشياء الحياة .

* * *

وهذا الانسان بالاضافة الى انه ضعيف فهو محدود القدرات .

فمن الناحية الشخصية فان جسم الانسان محدود . قدرات اعضائه محدودة . فهو لن يطول اكثر

من مترين ونصف في اطول الافراد ولن يزيد وزنه على ١٢٠ كيلو في اكثر الاحتمالات ·

ونمو جسمه محدود في كل شيء منه ، فشعره محدود في امكانية طوله ، بينما نجد ان « اشياء » الحياة الاخرى لها قدرة اكثر من الانسان في النمو ·· فهنالك اشجار تطول الى درجة كبيرة ·

ولكن ·· هذا الانسان الضعيف في جسمه ، ونموه، له قدرة غريبة على النمو في ثلاث جوانب منه وهي :

اولا ـ الجانب الروحي ·

ثانيا ـ الجانب النفسي ·

ثالثا ـ الجانب الفكري ·

ولقدرته على النمو في هذه الجوانب الثلاث ، كان قادرا على ان يزيد من قدرة جسمه اضعافا مضاعفة ، وان يسخر الطبيعية لصالحه ··

فهو الذي يولد ضعيفا جدا ، ولكن لا يلبث ان يركب في « دبابة » تستطيع ان تهدم اقوى الاشجار، واقوى الحيوانات واقوى السدود · وهو القصير من حيث الحجم ، يستطيع ان يزيد من طوله ، حتى يكون اطول من الجبال ، وان يبني بناية من مائة وعشرين طابقا ·

وهو الذي لا تطال ذراعه الا الى نصف متر ، يستطيع أن يمد يده الى المريخ ، وان يرسل بريده الى القمر ، فالانسان اذا لم يكن قادرا على توسعه « عينيه » لتصبح اكبر ، فانه قادر على صناعة « ميكرسكوب » ترى ميكروبات الارض ٠ او يصنع « مكبرا » يرى به عصفورا طائرا من بعد عشر كيلومترات ٠

كل ذلك بفضل « نموه » في الجوانب الفكرية واستعمال عقله لمواجهة التحديات ٠٠

وهكذا يكون الصراع ، قدر الانسان ، ووسيلة للتقدم في مختلف مجالات الحياة ٠

وقد يتساءل بعض الناس ، ألم يكن من الافضل ان لا يوجد صراع في الارض ، لئلا يوجد العصاة من البشر ؟

وربما يطرح هذا السؤال بصيغة اخرى تقول ، ألم يكن من الافضل ان لا يخلق الله الشيطان ؟

ويطرحه اخرون بالصيغة التالية : لماذا خلق الله الشر ؟

والجواب على كل ذلك هو : ان الله خلق الانسان طيبا ٠ وزوده بكل وسائل الخير ٠ واعطاه الحرية ،

والارادة • ثم طلب منه ان يتخذ جانب الخير ، ويبتعد عـن الشر •

ولولا وجود الشر والخير ، والصراع بين الحـق والباطل لم يكن هناك اي جد مبرر لوجود الانسان فلو خلق كل الناس سواسية ، من دون ان يوجد اي عامل الشر ومن دون ان يمتلك الانسان حرية التصرف •• لم يكن هنالك اي فرق بينه وبين الحيوانات الطيبة•• كالدجاجة مثلا •

فوجود الصراع داخل الانسان • ومن ثم وجوده داخل المجتمع هو الذي يميز الطيب من الخبيـث ، ويعطي لمن يختار الخير قيمة كبرى في الحياة ••

فالصراع + قدرة الانسان على اختيار الحق + البحث عن عوامل النصر الحقيقي هو اساس خلـق الانسـان •

وليس الاعتراض القائل : اذا كان الله يريد الخير فلماذا خلق الشر ، واذا كان يريد الحق فلماذا خلـق الباطل ، واذا كان يريد النور ، فلماذا خلق الظلمات ، هذا الاعتراض غير وارد اساسـا لانه لا يأخذ بعين الاعتبار الا صفحة واحدة من تاريخ البشرية وهـي صفحة الباطل ، والشر ، والظلم •

فاذا كانت الصفحـة التي تكشف عـن الشر ،

والباطل سوداء وسيئة ، فان هنالك الصفحة التـــي تكشف عن رفض الشر ، ومقاومة الباطل ..

وبمقدار ما تكون الصفحة الاولى سوداء قاتمة ؛ بمقدار ما تكون الصفحة الثانية بيضاء ناصعة فلولا وجود الشيطان ، لم يكن هنالك مبرر لوجود الانسان.

ولولا وجود الظلمات ، لم يكن هنالك داع لوجود النـــور .

ولولا وجود « القبح » لما وجد « الجمال » .

ولنفترض انـــه لا يوجد ذنب معين يستطيـــع انسان ارتكابه . فهل هنالك اي قيمة للامتناع عنه ؟

ان الذين يرغبون في عدم وجود الشيطان ، والشر والباطل ، هم يرغبـــون في الحقيقة ، في عدم امتلاك الانسان للحرية ، والارادة .

* * *

حينما اراد الله ان يخلق البشر .. قال للملائكة:

« اني جاعل في الارض خليفة » .

وحينما عرفت الملائكة مكونات البشر ، اعترضوا على ذلك قائلين :

« أتجعل فيها من يفسد فيها ، ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك » ؟

واجابهم اللـه تعالى :

- « اني اعلم ما لا تعلمون » ..

لقد تصفح الملائكة الصفحة السوداء ، من حياة البشرية .. فاعترضوا على خلقهم .. ولكن الله بين لهم ان هنالك صفحة بيضاء في حياة البشرية ايضا هي التي تبرر خلقهم .

ان الملائكة تصفحوا حياة قابيل ، ونمرود وفرعون ، وبني اسرائيل ، وكفار قريش ، ويزيد ، والملوك الظلمة ، والرؤساء الخونة .. فقالوا :

« أتجعل فيها ، من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ولكن الله كان يرى في مواجهة اولئك هابيل ، وابراهيم، وموسى ، وعيسى ، ومحمد ، والحسين ، وكلّ الرساليين الثائرين من اتباعهم » .

فهم كانوا يرون اهل الباطل فيعترضون ولكن الله كان يرى اهل الحق فيقول لهم :

« اني اعلم ما لا تعلمون » .

* * *

ولنعد الى السؤال السابق :

- لماذا خلق الله الشر ؟

والجــواب :

ـ لكي يتجاوزه الانسان ، ويقاومه ، ويعاديه٠٠ ومن ثم « يكوّن » انسانيته فالشر لم يخلق لكــي يستسلم له الانسان ٠

تماما كما ان الله لم يخلق الضعف في الانســـان لكي يستسلم له ، بل لكي يحوله الى قوة ٠٠

فهل يجوز لاحد ان يقول : لا يجب على البشر ان يتعلموا اي شيء وان يتحركوا ، لانه لو كان الله يريد لهم العلم ، والقدرة على التحرك ، لما خلقهم من جهل وضعف ؟ ان الله هو الذي خلق ابليس ٠

ولكن في المقابل ايضا هو الذي خلق في الانســـان القدرة على مقاومته والتغلب عليه ٠

ومن يطالب ان يبدل الله ، ضعف الانسان ، الى قوة ، وجهله الى علم ، مــن دون ان يبذل هــو أي جهد ، فكأنه يطلب من الله ان يحوله من انسان الى حيــوان ٠

لان الحيوانات يهديها الله بالجبر عـــن طريق الغريزة « وما من دابة الا هو اخذ بناصيتها ، ان ربي على صراط مستقيم » ٠

ولكن الانسان زود بالغريزة ٠٠ والى جانبها زود بالعقــل ٠٠ وزود بالشـــهوات ، والـــى جانبها زود بالارادة ٠

فهو قادر بالوعي والتعقل ، واستعمال الارادة ان يختار جانب العقل ٠٠ وان يتجنب الشر ٠٠ وان ينصر الحق ٠

وكما ان هنالك « قوة » جسدية مكنونة في الانسان حتى في حالات الضعف ، مثل حالة الطفولة ، فهو يستطيع بالتغذية الصحيحة ان يصبح قويا ٠

كذلك فان هنالك ، قوة روحية مكنونة في الانسان ، يستطيع أن ينميها في نفسه ، فيختار دائما الخير ، وينصر دائما الحق ويقاوم دائما الشر والباطل ، ولكن بشرط ان ينميها الانسان ٠

فالعقل ٠٠ والارادة ٠٠ كالنبات ، بحاجة الى التغذية المستمرة حتى ينمو ، ومن لم يغذ عقله ، بالتفكر ، والوعي ، والعلم فان عقله لن ينمو كما يلزم٠

كما ان من لم يغذ ارادته بالتحدي لشهواته ورغباته ، فانها تخور ، ومن ثم تتلاشى في زحمة التحديات التي يواجهها كل انسان ٠

ومن هنا نجد التأكيد المستمر من القرآن الكريم بضرورة « التفكر » و « التعقل » و « الارادة » ومقاومة الشهوات والرغبات ٠

ان الانسان ليس بحاجة الى من يدفعه الى السقوط في احضان الشهوات ، ولا الى من يطلب منه

التراجع والاستسلام ، والكسل ، والضجر ، واستعمال الغريزة بدل العقل .

ولكن بحاجة الى من يحثه على استعمال عقله ، وتحقيـــق ارادتـــه .

فأي انسان حينما يجد امامه طعاما شهيا فهو يجد في نفسه الرغبة لمد يده اليه والاكل منه . ولكن عقله وحده هو الذي يطالبه بأن يبحث عن مصدره ، وصاحبه والامتناع عنه اذا كان من غير حله .

كما ان ارادته هي وحدها القادرة على أن يطوي جميعا ما دام لم يسمح له به ..

وهكـذا فان اســتعمال العقل بحاجة الى بــذل الجهة ، وتحقيق الارادة بحاجة الى مواجهة الذات .

واذا كنا نجـــد ان اكثـــر الناس ، لم يحققوا انسانيتهم ، ولم « يكونوا » ذاتهم ، فلان اكثر الناس لا يؤمنون .. ولا يعقلـــون .. ولا يتفكـــرون .. ولا يعلمون .. كما يقول القرآن الكريم .

ونعود مرة اخرى لنقول :

ان الانسان يولد ضعيفا في جسمه محدودا فـــي ابعاده المادية وقدراته الجسمية .. ولكنه قادر على أن يكبر في ثلاثة ابعاد من ذاته وهي :

أولا : البعد الروحـــي ٠

ثانيا : البعد النفســـي ٠

ثالثا : البعـد الفكـري ٠

فباستطاعة الانسان ، ان يصبح « الاشجـــع » و « الاكرم » و « الاتقى » و « والاصدق » و «الاعلم» و « الافضل » من اقرانه ، وبنـي جنسه ٠

فهو في الروحيات قادر على النمو بلا حدود ٠

وهو في النفسيات كذلك قادر على النمو بلا حدود٠

وهو ايضا في الفكريات قادر على النمو بلا حدود٠

فاذا بالانسان الذي لا يملأ ـ من حيث الجســم ـ الا فراغا محدودا من الفضاء ، ويمكنه ان يملأ الارض كلها ، والزمان كله ، بعقله وفكره وروحه ، ونفسيته، ومواقفه ، وبطولاته ، وانسانيته ٠

* * *

من كل ما سبق نستخلص ان الانسان مسئول عن تنمية نفسه ، وروحه ، وفكره ، وان الله انما خلقه ضعيفا في جسمه ، لكي يبذل الجهد ، وينمي عقله وفكره ، ويحول ضعفه الى قوة وجهله الى علم ، وبذلك يكون اقوى من المخلوقات الاخرى ، التي تخلق وهي قوية بمقدار حاجتها ٠

وليس هذا الامر خاصا بالنواحي الشخصية فقط٠

ففي النواحي السياسية والاجتماعية .

ايضا يخلق الله الانسان ضعيفا ، ويطالبه بالدخول في الصراع ، ومحاولة تحويل الضعف الى قوة .

ومن دون الدخول في الصراع الاجتماعي والسياسي وتحدي العقبات لن تستطيع امة ان تحتل مكانتها في هذه الحياة .

ومن هنا فان الرساليين لا يخشون الصراع ، ولا المواجهة مع التحديات .. وانما يعتبرون ذلك سلما للمجد ، ووسيلة للرقي .

فالصراع هو اول ما يوطن الرسالي نفسه عليه، حينما يحمل الرسالة .

ومن يخشاه .. فكأنه يخشى حمل الرسالة لان ذلك نتيجة حتمية وطبيعية لتحمل الرسالة .

* * *

واذا اخذنا الحقائق السالفة الذكر بعين الاعتبار، فلا بد ان نكتشف الكثير من اسباب تأخر امتنا الاسلامية .

ان بعضنا يتساءل اليوم ؟!

لماذا نحن مليار نسمة ، ومع ذلك يكون اسلامنا

غريبا ، وقرآننا غريبا ، ونبينا غريبا ، ليس فقط في بلاد الاجانب بل في بلادنا الاسلامية أيضا ؟!

ففي البلدان التي يشكل فيها المسلمون نسبة ١٠٠٪ او ٩٠٪ من عدد السكان يكون المسلمون غرباء ، والرساليون مطاردون والحركات الاسلامية ، الداعية الى تطبيق حكم الله في ارضه ، ممنوعة ، فكيف ببلاد يكون فيها المسلمون اقلية بينما نجد ان اليهود في الولايات المتحدة لا يشكلون الا ٣٪ من عدد السكان بينما يمتلكون ٣٠٪ من الاقتصاد الامريكي ، و ٩٠٪ من وسائل اعلامها ؟ مع ان وضعهم لم يكن كذلك في السابق فقد جرى استفتاء في عهد الرئيس الامريكي السابق روزفلت حول السماح لليهود بالهجرة الى الولايات المتحدة الامريكية ، فكانت النتيجة ان ٧٠٪ خالفوا ذلك ، و ١٥٪ منهم لم يبدوا رأيا والباقون وافقوا على ذلك •

فلماذا تبدلت المعادلة ؟

الحقيقة ان الضعف الاساسي هو في داخلنا •• ومن هنا كان عدونا اقوى منا فقوة العدو ليست لعوامل ذاتية فيه ، بل لضعف فينا •

فالتخلف الذي تعيشه الامة في مجمل اوضاعها ، وضياع الرؤية السليمة ، والافتقاد الى المنهج السليم للتحرك ، كل ذلك ادى الى وضعنا الفعلي ، موقعنا

المتهاوي .

ان الامة المتقدمة ، هي التي قبلت التحدي فارتفعت على اسباب العجز ، والخوف ، والتخلف ولا يمكن ذلك الا بردع الشهوات والرغبات الشخصية ، في كل فئات الامة .

ان أمة يعبد اثريائها المال ويستعبد شبابها الجمال . ويعيش فقرائها متقلبي الاحوال ، سيكون عاقبة امرها حتما الى الوبال .

وان امة يسخو اثريائها بالمال ويوقف شبابها انفسهم للنضال ويستسيغ فقرائها الاهوال ، لهي امة تنتزع لنفسها التكريم والاجلال ، يقول الحديث الشريف :

« قوام الدين والدنيا بأربع » :

١ ـ لعالم يبذل علمه .

٢ ـ جاهل لا يستنكف ان يتعلم .

٣ ـ وغني لا يبخل بجوده .

٤ ـ وفقير لا يبيع اخرته بدنياه .

« فاذا لم يبذل العالم علمه ، استنكف الجاهل ان يتعلم ، واذا بخل الغني بجوده ، باع الفقير اخرته بدنياه » .

كيف يعيش تجارنــا ؟

وكيف يقضي شبابنا اوقاتهم ؟

وكيف حال علمائنا ؟

حينما ترضينا الاجابة على هذه المسألة سنكون علــى الطريق الصحيح ٠٠

ولكن اذا كان تجارنا يعبدون « الاصفار » حيث يكون كل همهم أن تزداد أصفار حساباتهم في البنوك في نهاية كل عام ، فان حالنا لن تكون افضل من حال « الابقــار » ٠

وعلى الاقل ، فان البقـــرة تمشي ، وتصرخ ، وتدر اللبن ، اما « الاصفار » فهي مجرد نقوش على ورق ٠

واذا كان شبابنا يحرقـــون اعمارهم في اللهـــو واللعب ٠٠ وعلمائنا لا يتحملون مسؤولياتهم الاجتماعية والسياسية ٠٠ فان اوضاعنا تبقى على ما هي عليه ٠

ان المعادلة الحضارية بين العدو ـ متمثلا فـــي الدرجة الاولى بالصهيونية ـ وبين المسلمين مختلـــة حضاريا ٠

ولذلك فان مليار نسمـــــة ـ هم المسلمون ـ لا يستطيعون رد ثلاثــــة ملايين ٠٠ لان الثلاثــة ملايين

يمتلكون وسائل حضارية متقدمة • والمليار نسمة هم غثاء كغثاء السيل •

الخراب في داخلنا نحن •• وليس في قوة عدونا •

لقد سئلت ذات مرة :

ماذا يواجه الامة من تحديات رئيسية ؟ فقلت الامة تواجه التحدي الصهيوني • ولكن لا بد ان نفهم هذا التحـــــدي ليس باعتباره تحديا خارجيا • بـــل باعتباره تحديا داخليا •